﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التنويهُ بالمؤمنينَ ومدحُهم بعدَ فضْحِ الكافرينَ وذَمِّهم

بعدَ أنْ تحدَّثتِ الآياتُ السّابقةُ عن قبائحِ المُشركينَ ونقائصِهم الموجِبةِ دخولَهم جهنّمَ وتُمَكُّنَهُم منها، تأتي هذه الآيةُ للتنويه بالمُؤْمنينَ المجاهدين، إظْهارًا لِمَزيدِ العِنايَةِ بِهِمْ، وغَيْظًا لأعدائِهم وتحقيرًا[1]، وجريًا على عادةِ القرآن في إتْباعِ الحديث عن الكافرينَ بمدحِ المؤمنين، ليحصُلَ بذلك نوعٌ من التقابلِ الكاشفِ عن مَزايا المُجاهدين وجزائهم وجرائمِ الكافرينَ ومصيرِهم؛ فيُقبل المتلقّي ذو الفِطرة النَّقيَّة والنّفسِ السَّويَّة على الحَسَن الممدوح، وينصرفُ عن القبيح المذموم، إذ "لَمّا فرَغَ مِنَ التَّقْريرِ والتَّقْريع ولَمْ يُؤْمِنِ الكُفّارُ، سَلَّى قُلوبَ المُؤْمنينَ بِقَوْلِه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَٰهَدُواْ﴾: (جهد) أصْلُهُ المَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ما يُقارِبُهُ، يُقالُ: جَهَدْتُ نَفْسي وأجْهَدْتُ، والجُهْدُ: الطّاقَةُ، ومنه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: 79][3]، والجِهادُ والمجاهدةُ: استفراغُ الوُسْعِ في مدافعةِ العدوِّ، والجِهادُ ثلاثة أضْرُبٍ: مجاهدةُ العدوِّ الظّاهر، ومجاهدةُ الشَّيطان، ومجاهدةُ النَّفس، والمعنى في الآية: أفرَغوا وُسْعَهم في إرضائِنا.

2) ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾: (هدي) أصْلانِ، أحَدُهُما: التَّقَدُّمُ لِلإرْشادِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 36.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 77.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جهد).

والآخَرُ: بَعْثَةٌ لُطْفٍ، فالأوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّريقَ هِدايَةً، أيْ: تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ، وكُلٌّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هادٍ، والهُدَى: خِلافُ الضَّلالَةِ[1]، والهدايةُ نَصْبُ الدَّلائل الفارقةِ بين الحقّ والباطل، والصَّلاح والفساد، وهي: بيانُ ما ينتفعُ به الناس، ويحتاجونَ إليه، وهو العلمُ النّافع والعمَلُ الصّالح، وتنقسمُ الهداية إلى ثلاثة أقسام؛ الهداية العامّةُ، وهدايةُ الإرشادِ والدّعوةِ والبيان، وهدايةُ التوفيق والإلهام[2]، والمعنى هنا: لَنَدُلَّنّهُم ولنوصلَنَّهم إلى طريق الحق بلطفٍ وعنايةٍ.

3) ﴿سُبُلَنَاۚ﴾: (سبل) أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إرْسالِ شَيْءٍ مِنْ عُلوٍّ إلَى سُفْلٍ، وعَلَى امْتِدادِ شَيْءٍ[3]، والسَّبيلُ: الطّريق الذي فيه سهولة، وجَمْعُه سُبُلٌ، قال تعالى: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: 37] يعني به: طريقَ الحقّ، وقد يُستعملُ السّبيلُ لكلِّ طريقٍ يوصِل إلى خير أوْ لا، ومعنى السَّبيل في الآية: الطّريقُ المُستقيم؛ لأنَّه المنسوبُ إلى الله تعالى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرشادُ المجاهدينَ المُحسنينَ وتوفيقُهم سنّةُ اللهِ التي لا تتبدّل ولا تتغيّر

تأتي هذه الآيةُ في ختام (سورة العنكبوت) لتوضّحَ أنَّ الّذين بذلوا جُهْدَهم في سبيل إعلاءِ دين الله، وقدّموا أنفسَهم وأموالَهم في سبيل إرضائه وطاعته، وأخلصوا له العبادة والطّاعة، لن يتخلَّى اللّهُ تعالى عنهم، وسيُرشدهم إلى الطَّريق المستقيم، الشاملِ لكلّ سُبُل الخيرات، وسيجعلُ لهم العاقبةَ الطيّبة، إذِ اقْتضتْ رحمتُه وحكمتُه أنْ يكون مع المُحسنينَ إلى أنفسهم وإلى خَلْق الله في أقوالهم وفي أفعالهم، وتلك سُنّتُه سبحانه التي لا تتخلّفُ ولا تتبدّلُ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدى).
(2) اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد: 3/ 725، والراغب، مفردات القرآن: (هدى)، والجرجاني، التعريفات ص: 256، والسفاريني، لوامع الأنوار: 1/ 335.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 11/ 58.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في صدر الآية:

(الواو) في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ استئنافيّةٌ، جيءَ بها لتنبيهِ المتلقّين إلى جزاء المؤمنينَ المجاهدين، الّذين يؤمنونَ باللّه، ويُصدّقونَ الوحيَ النّازلَ إلى رسوله ﷺ، ويجاهدونَ أنفسَهم في اللّه، ولا يتّبعونَ أهواءهم، ويُفضّلون الدّارَ الآخرةَ على الحياةِ الفانيةِ الزّائلة.

غرضُ التّعبيرِ بالموصولِ وصِلَتِه:

تشريفُ المتُحَدَّثِ عنهم والتوصُّلُ إلى الإخبارِ بجهادِهم

عبّر النَّظمُ الكريمُ عن المصدّقينَ برسالة الإسلام بالاسم الموصول: (الَّذينَ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ الموحي بالتعظيم والتفخيم؛ للإشارةِ إلى بُعْد منزلتِهم وارتفاعِ شأنِهم عندَ اللّه جلَّ في عُلاه، وليتوصّل بما في حيّزه من مضمونِ جملةِ الصِّلة أنّهم جاهدوا جهادًا عظيمًا، وفضّلوا الدارَ الآخرة على الحياة الفانية، وقدّموا تضحياتٍ كبيرةً، ممّا ترتّب عليها أنْ يهديَهم اللّهُ تعالى السُّبُلَ المؤصّلةَ إليه، وأنْ يمنَحَهم شرفَ معيّته ورعايته، فعلةُ الهدايةِ إلى سبيل الحقِّ أنَّهم جاهدوا أنفسَهم ومنعوها من المحرَّمات في سبيل اللّه.

دلالةُ الموصولِ على الشّرطيّة:

بذلُ الوُسعِ في المجاهدةِ يُقابلُهُ التزامٌ مشروطٌ من الربِّ الوهّاب

يمكنُ أنْ يتضمّنَ الاسمُ الموصول المبتدأ: (الَّذينَ) معنى الشّرط، ويكون خبرُه مُنَزَّلا منزلةَ الجواب، والتقديرُ: (مَنْ جاهدوا في سبيلنا لنهدينّهم)، ومن ثَمّ تكونُ جملةُ: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ واقعةً في محلّ جزمٍ جوابًا للشَّرط المُقَدّر، ويمكن أن تكونَ في محلٍّ جزم جوابًا لقَسَمٍ محذوف، والقَسَمُ وجوابُه في محلِّ رفعٍ خبرُ المبتدأ[1].

دلالةُ التّعبير بصيغة المفاعلة الماضية:

عبَّر النَّظمُ الكريم في جملة الصِّلة بالفعل: ﴿جَٰهَدُواْ﴾ في قوله

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 531.

المجاهدةُ عملٌ شاقٌّ نجحَ فيه المجاهدونَ وحقَّقوا المجاهدة

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾؛ لأنّه يدلُّ بمعناه على أنَّهم استفرغوا مافي وُسْعِهم وطاقتهم، ولم يُقصّروا في هذا الأمرِ أوْ يتراخَوا، وإنَّما كانوا مُنتبهينَ حريصينَ على تفضيلِ كلِّ ما يتّصلُ بالدار الآخرة، عازفينَ عن كلِّ ما يتصلُ بالدنيا من لهوٍ ولعِب، ولأنه يدلُّ ببنائه الّذي يتوسَّطُه حرفُ المدّ على بُلوغِهم في المجاهدة آمادًا لا حدودَ لها.

وأوثر التعبيرُ في: ﴿جَٰهَدُواْ﴾ بصيغةِ المُفاعلة؛ لدلالتها على أنَّهم واجهوا في سبيل ذلك عَنَتًا ومشقّةً ومُدافعةً من النّفس والشّيطان والأعداء، وأنّ مُجاهدتَهم لم تكنْ سهلةً يسيرةً، وأوثر التعبيرُ بالفعلِ الماضي لدلالتِه على أنَّهم انتصروا في هذه المعارك بفضلِ هدايةِ اللّه تعالى وتوفيقِه، لِما رآه من صدقِهم في المجاهدة، وحرصِهم على مواصلتِها، والاستمرارِ فيها، وفي إسنادِ المُجاهدة إلى ضميرِ الجمع إشارةٌ إلى أنَّها مجاهدةٌ متنوّعةُ السُّبل من جهادٍ للنّفس وصبرٍ عن المحرَّمات ومقاومةٍ للملذّات، وأنَّها اتَّخذتْ أشكالًا متعدّدةً، وتفرَّعت إلى صور متنوّعة كلٌّ حسبَ حالِه واستعدادِه وقابليّتِه.

نكتةُ حذفِ المفعول:

ميدانُ المُجاهدة واسعٌ متنوّعٌ

أطلقَ النظمُ الكريمُ فِعلَ المُجاهدة ولم يُقَيّدْه بمفعولٍ، ليتناولَ معناه كلَّ ما يجبُ مجاهدتُهُ من النَّفس الأمّارة بالسّوء والشَّيطان وأعداءِ الدّين[1]، وغير ذلك.

فائدةُ التعديةِ بحرف الظرفيَّة:

حقيقةُ المُجاهدة ومُستقَرُّها يجبُ أن تكونَ للّه تعالى وفي ذاتِهِ

قولُه: ﴿فِينَا﴾ معناه: في حَقِّنا ومن أجلِنا ولوَجهِنا، وفي تعديةِ فعل الجهادِ إلى ضميرِ الحقِّ المعظِّم نفسَه بواسطةِ حرف الجرِّ المفيدِ للظرفيَّة؛ دلالةٌ على أنّ حَقيقة مكانِ المجاهَدة ومستقَرِّها أن تكونَ في اللّه وفي ذاتِهِ، لا يتجَزّأُ منها شيءٌ إلى مكانٍ آخر[2].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 465.
(2) الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 12/ 205.

علّةُ التعبير بالهداية:

الله تعالى يَهدي المُجاهدين إلى أعمالِ الخير التي تستوجبُ رضاه وجنّتَه

التعبيرُ بالفعل ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ فيه دلالةٌ على أنَّ هدايةَ الله تعالى لعبادِه المجاهدين تكونُ بالإرْشادِ والتَّوْفيق بالتَّيْسيرِ القَلْبيِّ والإرْشادِ الشَّرْعيِّ[1]، ما يعني: أنَّ الله تعالى سيَزيدُهم هُدىً وتوفيقًا إلى أعمال الخير، التي تستوجبُ لهم رِضاهُ وجنّتَه.

دلالةُ تتابعِ المؤكّدات:

هدايةُ الله للمُجاهدينَ أمرٌ مؤكَّدُ الحصول

أكّدَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ الواقعةَ جوابًا للشّرط المقدَّر باللّام الواقعة في جواب القسم والنّون المؤكّدة المشدّدة، للمبالغةِ في تأكيد حصولِ هداية الله تعالى وتوفيقِه للمجاهدين، جزاءَ صدقِهم في مجاهدة الدنيا بلهوِها ولعِبها، ولقاءَ إخلاصهم فيها، ومُداومتهم عليها، على الرغم ممّا يكتَنِفُها من مشقَّة ومُدافعة.

دلالةُ التّعبير بالفعل المضارع:

هدايةُ الله للمجاهدين متجدّدةٌ غيرُ منقطعةٍ

أوثر التعبيرُ بالمضارع: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، للدّلالة على تجدُّد الهداية، واستمرارِ حصولها كلَّما دعتْ حاجةُ المجاهدينَ إليها، ما يعني أنَّها لن تنقطعَ عنهم طالَما بقَوا على مجاهدتهم، وواصلوا القيامَ بها.

نكتةُ إسنادِ الهداية إلى ضميرِ العظمة:

ما أعظمَ أنْ يتولَّى الله هدايةَ المُجاهدين!

في إسنادِ فعلِ الهداية إلى ضميرِ الحقِّ بصيغة العظَمة تفخيمٌ للهداية وتعظيمٌ لشأنِها؛ لما يوحي به هذا الإسناد منْ أنّ الله تعالى هو الَّذي يتولَّى هدايتهم وتوفيقَهم إلى سُبُله بنفسِه، وما أعظمَ الفعل الذي يتولّاه المولى سبحانه وتعالى!.

فائدة الجمع والإضافة:

السُّبُلُ المؤدّيةُ إلى رضوان الله كثيرةٌ ومتنوعةٌ

يُعرَب: ﴿سُبُلَنَاۚ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ مفعولًا به ثانيًا لفعل الهداية، وسُبُلُ اللَّهِ تعني: الأعْمالَ الموصِلَة إلَى رِضاهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 37.

وثَوابِه، شُبِّهَتْ بالطُّرُقِ المؤدّية إلَى مَنْزِلِ الكَريمِ المُكْرِمِ للضّيف[1]، ففيها استعارةٌ تصريحيّةٌ أصليّةٌ؛ بجامعِ الوصول إلى الكريمِ وكرَمِه، وفي جعلِ الأعمالِ الصّالحةِ طرُقًا توصلُ إلى الكريم؛ تهييجٌ للنُّفوس الرّاغبة بالوصول إليه بالإقبالِ على الأعمال الصّالحة وإنْ كان فيها نوعُ كُلفةٍ ومشقَّة، وجُمِعتْ للدّلالة على كثرتِها وتنوُّعِها، وللإشارة إلى أنَّ اللّه تعالى سيهديهم إليها كلِّها، ولن يفوتَهم واحدٌ منها، وفي إضافتها إلى ضميرِ العظمة تفخيمٌ للسُّبُل وتعظيمٌ لها، وتخصيصٌ لتلك السُّبل بأنَّها سُبُل خيرٍ؛ لأنها صدرتْ من منبعِ الفضل والإحسانِ والكرم، وفيها دلالةٌ على أنها ستوصلُهم إلى اللّه تعالى من غير شكٍّ أوْ تخبُّط أو تعب؛ لأنّها سبلٌ مستقيمةٌ وواضحةٌ، كما أفادَ الجمع عظمةَ الكرم الإلهيّ؛ إذ المؤمنون به جاهدوا في سبيله على سبيل الإفراد، فكانتِ النتيجةُ أنْ هداهم إلى كلِّ السُّبُل الطيِّبة والأعمالِ النّافعةِ الموصلةِ إليه.

الجمعُ بين التعبير هنا وفي سورة إبراهيم:

في سورةِ إبراهيمَ يقولُ اللّه تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: 12]، وفي سورةِ العنكبوت يقولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، والمتحدَّث عنهم في الموضعِ الأول هم: الرُّسُلُ المتوكِّلون الّذين هداهم اللّه السُّبُلَ، والمتحدَّثُ عنهم في الموضع الثاني: المجاهدونَ الَّذين وعدَهم اللّه بهدايتِهم السُّبُلَ، وممّا يلحظُ إضافةُ (السُّبُل) في الموضع الأول إلى ضميرِ المتكلِّمين، ﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: 12]، بينما أُضيفت في الموضع الثاني إلى ضمير الحقِّ بصيغة التعظيم: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، والمقصودُ بكليهما: السُّبُل الموصلةُ إلى طاعةِ اللّه تعالى، ولا خلافَ بينهما في الموضعين، لما هو معلوم مِنْ أنَّ الرسلَ هم المبعوثونَ من اللّه تعالى لإرشادِ خلقِه إلى سُبُله، وهدايتهم إليها، فلا غضاضةَ في إضافةِ السُّبُل إليهم باعتبارهم مساعدينَ للناس على الهداية إليها، وفي هذا الفرقِ بين الإضافتين يظهرُ لنا أنَّ سُبُل الأنبياء هي سبلُ اللّه تعالى الموصلةُ إليه، وأنَّ السُّبل قد وصلت للأنبياء حتّى أسندوها لأنفسهم، بخلاف المجاهدينَ المتابعينَ للأنبياء فإنَّهم موعودونَ بنيلِ تلك السُّبُل، ووعدُه تعالى لا يتخلّفُ، فيكون ذلك إقرارًا لهم بأنَّهم ماضونَ في طريق الأنبياءِ تابعونَ لهم مُصدّقون بدعوتهم الحقَّة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 37.

نكتةُ الوصل في ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

(الواو) في جملة: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يمكنُ أنْ تكونَ لعطفِ ما بعدَها على جملة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾، وفيها دلالةٌ على أنَّ الله تعالى يتفضّلُ على عبادِه المجاهدينَ بالهداية والتوفيق إلى ما يُحقّقُ رِضاه عنهم، ويَستوجبُ لهم جنَّتَه، كما أنَّه يُشرّفهم بعونِه ورعايته، والجامعُ بينَ المُتعاطِفَيْنِ عقليٌّ، يفيدُ الاحتراسَ عن كونِ الهداية إلى السبّل الموصلةِ مع تركِ المهديِّ وحدَه وسطَ الطَّريق، بل يدلُّهم على الطَّريق ويكون معهم في ذلك المَسير توفيقًا وعنايةً، حتى يتحقّقَ لهم الوصولُ إلى دوحةِ الكرم والإحسانِ الإلهيِّ الَّذي لا حدود له، ويمكنُ أنْ تكونَ حاليّةً دالّةً على أنَّ سنّةَ الله تعالى لا تتغيّرُ ولا تتبدّلُ، وهي أنَّه يتولَّى المحسنينَ بعونِه ورعايتِه.

الله يتفضّل على المجاهدينَ بالتوفيقِ، ويُشرّفُهم بالرِّعاية والعِناية

غرضُ تزاحم المؤكِّدات:

جاءَ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مؤكَّدًا بـ(إنّ) واللّام والجملةِ الاسميَّة؛ للمبالغةِ في تأكيدِ معيَّةِ الله تعالى ورعايتِه لعبادِه المُحسنين، الَّذين يُجاهدونَ في سبيلِه بكلِّ ألوانِ المجاهدةِ وصُنوفها، ويتحمّلونَ من أجل ذلك العنتَ والمشقّة والمدافعةَ، فحَريٌّ بهم أنْ يكونوا أهلًا لمعيَّتِه ورعايتِه، يقول الطّيبيُّ: "ثُمَّ إنَّ جملةَ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تذييلٌ للآية مُؤكَّد بكلمتَي التوكيد، مُحَلَّى باسم الذات؛ ليُؤْذِنَ بأنَّ مَن جاهد بكلّيَّته في ذاته ﷻ تجلَّى له الربُّ عزّ اسمُه الجامعُ في صفة النُّصرة والإعانة تجلّيًا تامًّا"[1]، وفي ذكرِ اسمِ الجلالة الأعظم الجامعِ لكلّ صفاتِ الكمالِ والجلال إشارةٌ إلى أنَّ المعيَّة للمحسنينَ المجاهدين محقِّقةٌ لكمالِ الإعانة والرّعاية؛ لأنَّها من الذات الجليلة التي لا يُعجِزُها شيءٌ.

حَريٌّ بالمجاهدين أن يكونوا أهلًا لمعونة الله ورعايته

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 12/ 206.

معنى اللّام في ﴿لَمَعَ﴾:

إثارةُ المتلقّين للسَّير في طريقِ المُجاهدين

(اللام) في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هي المُزحلَقة، التي تفيدُ توكيدَ المعيَّةِ المُسندةِ إلى الله تعالى، وتحقُّقِ حُصولها من غير شكٍّ أوِ ادِّعاءٍ، ما مِن شأنِهِ أنْ يدفعَ المتلقّي للسَّير في طريق المجاهدين؛ ليظفرَ بمعيّةِ ربِّ العالمين له أثناءَ السَّير في سُبُله، فينصرفُ عن اللَّهو واللّعب وغيرهما من أعمالِ الحياة الدنيا، إلى ما تتطلّبُهُ الدارُ الآخرةُ من أعمالٍ موصلةٍ إلى رضا الله تعالى وثوابِه.

عِلَّةُ التّعبير بالمعيّة في ﴿لَمَعَ﴾:

معيَّةُ اللهِ الخاصّة تقتضي النَّصر، والتأييدَ، وكمالَ الثبات

آثرَ البيانُ الكريمُ التعبيرَ بمعيَّة الله لهؤلاء المجاهدينَ، وهي معيّةٌ خاصّة، وهي مِن الصِّفات الفعليَّة لله تعالى؛ لأنَّ مُقتضياتها تابعةٌ لأسبابها، توجَدُ بوجودها، وتنتفي بانتفائها، التي تقتضي النَّصرَ، والتأييدَ لمَن أُضيفتْ له، وهي مختصّةٌ بمَن يَستحِقُّ ذلك من الرُّسُل وأتباعِهم، وهذه المعيَّةُ توجِبُ لمَن آمنَ بها كمالَ الثّبات[1]؛ عنايةً من الربِّ الكريمِ بالمجاهدينَ ورعايتِهم ونُصرتهم على أنفُسِهم وعلى الشياطين وعلى أعدائِهم، ذلك أنَّ المجاهد يفتقرُ إلى ناصرٍ ومُعين[2]، ليستمرَّ في مجاهدته، وينجحَ في التغلُّبِ على مَن يُدافعُه، ويَسلكُ السُّبُلَ الموصلةَ إلى رضا الله تعالى وجنّته، ونلحظُ أنَّ المعيّةَ المكانيّة أثناءَ السَّير إلى الله تعالى تُعطي أمانًا للسّائر، ولا تجعلُه يشعرُ بالوحدانيَّة والعُزلة، كما دلّتِ المعيّةُ على مُرافقة الله لهم برعايتِهِ وعنايتِهِ ونُصرتِهِ وأمْنِهِ، فكأنَّهم يسيرونَ مُتقدّمين وهو يَحفظُهُم ويرعاهم مِن حولهم ومِن خلفهم، فلا يمسُّهُم السّوء.

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 5/ 193، والذهبي، العرش: 2/ 175.
(2) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 12/ 206.

معنى التعريف في ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

المجاهدونَ يَدخلونَ في المحسنينَ دُخولًا أوّليًّا

(أل) في ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يَحتملُ أنْ تكونَ للعهد، ويكونُ المراد بهم: الّذين جاهدوا، ويَحتملُ أنْ تكون للجنس، ويُراد بهم: كلُّ مَن أتى بالأفعالِ الحسنة، ويدخلُ فيهم المجاهدونَ دُخولا أوّليًّا برهانيًّا[1]، يقول ابن عاشور: "والمراد بـ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: جَميعُ مَنْ كانوا مُحْسِنينَ، أيْ: كانَ عَمَلُ الحَسَناتِ شِعارَهُمْ، وهوَ عامٌّ، وفيهِ تَنْويهٌ بِالمُؤْمِنينَ بِأنَّهُمْ في عِدادِ مَنْ مَضَى مِنَ الأنْبياءِ والصّالِحينَ"[2].

فائدةُ وصفِ المجاهدينَ بالإحسان:

المجاهدونَ ارتقَوا إلى أعلى مراتبِ الدّين وأشرفِها

كان مُقتضى الظّاهر أن يُعاد التعبيرُ بالاسم، فيقال: (وإنَّ الله لمعَ المجاهدين)، أو يُعبَّر بالضّمير فيقال: (وإنّ الله لَمَعَهُم)، لكنَّ النَّظم الكريم عبر بـ: ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم صاروا منهم، وارتقَوا إلى مَرتبتِهم، وأُضيفتْ إلى أوصافِهم صفةُ الإحسان، وكأنَّ هؤلاء المجاهدين قد نالوا الإحسانَ بكلِّ أوصافِه.

دلالةُ التّعبيرِ باسم الفاعل:

جهادُ المؤمنينَ كان في الله بحقٍّ وصِدقٍ

في التعبير بالاسم المشتقِّ من الثلاثيِّ المزيدِ بحرفٍ (أحسنَ)؛ دلالةٌ على أنَّهم ارتقَوا في مرتبةِ الإحسان ذاتِها، ووصلوا فيها الذّروة والقمَّة، حتى إنَّ إحْسانَهم قد تجاوزَهم إلى غيرهم، وأنَّ جهادهم على اختلافِ أنواعه كان مقصودًا به وجهُ الله، وكان في الله بحقٍّ وصدقٍ، كما وصفَهم ربهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السَّبيل أعمُّ، والصِّراطُ الطّريقُ السّهلُ الواسعُ، والطَّريق ما فيه صعوبةٌ

السّبيل والصّراط والطّريق:

(السَّبيلُ) اسْمٌ يَقعُ على ما يَقع عَلَيْهِ الطَّريق، وعَلى ما لا يَقع

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 15.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 37.

عَلَيْهِ الطَّريق، تَقول: سَبيلُ اللّه، وطَريقُ اللّه، وتقول: سبيلُك أنْ تفعل كَذا، ولا تَقول: طريقُك أنْ تفعل كَذا، ويُراد بِهِ سَبيلُ ما يَقْصِدهُ فيضافُ إلَى القاصد، ويُراد بِهِ: القَصْد، وهوَ كالمحبَّة، و(الصِّراط) هوَ: الطَّريق السَّهل ...، وهو من الذُّلِّ خلاف الصُّعوبة، ولَيْسَ من الذلِّ خلافَ العِزّ، وهو أوسعُ من السَّبيل؛ لأنَّ السُّبُلَ تؤدّي إليه، أمّا (الطَّريق) فلا يَقْتَضي السُّهولة، وهو كالإرادةِ، بمعنى: ما عزمَ الإنسانُ على السَّيرِ فيهِ[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 298.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»